يشمل معظم اللغة العربية ، وان جريان اللفظة على العرف العربي ليس مما يوجب لها حسنا ولا قبحا ، وانما يقدح في معرفة مستعملها بما يجهله من الالفاظ ، وان تصغير الكلمة مما لا حاجة إلى ذكره لان المعنى يسوق اليه. أما الاوصاف الاخرى التي ذكرها ابن سنان فقد اقام عليها ابن الاثير بحثه في الالفاظ فقبل منها ما قبل ورفض ما رفض، وشرح تلك الاوصاف بما يغني عن كثير من الكتب ، وكانت دراسته من أوسع الدراسات وأعمقها ولم يأتِ بعده من أضاف اليها ، واتجهت الكتب إلى التلخيص والقضاء على النزعة الادبية التي اتسمت بها دراسة ابن الاثير .

السكاكي :

وعندما قسم السكاكي (— ٦٢٦هـ) البلاغة إلى علومها لم يعقد للفصاحة فصلا وانما تكلم عليها بعد أن انتهى من علم البيان، وذكر انها قسمان : —

الاول : راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد.

وشرح تعقيد الكلام وقال : هو ان يشر صاحبه الفكر في متصرفه ويشيك الطريق إلى المعنى، كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُملكاً أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه

وكقول أبي تمام :

ثانيه في كبد السماء ولم يكن كالثنين ثانٍ إذ هما في الغار

أما غير المعقد فهو أن يفتح صاحبه الفكرة الطريق ويمهده (١).

الثاني : راجع إلى اللفظ، وهو :

١ — أن تكون الكلمة عربية اصيلة، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدْوَرَ واستعمالهم لها اكثر ، لا مما أحدثها المولدون ولا مما أخطأت فيه العامة.

٢ — وأن تكون أجرى على قوانين اللغة.

٣ — وأن تكون سليمة من التنافر.

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٦ — ١٩٧.

وجعل الفصاحة غير لازمة البلاغة التي حصر مرجعها في المعاني والبيان، ولم يجعل الفصاحة مرجعا في شيء منهما، وهو في ذلك يتابع عبد القاهر والرازي اللذين نظرا إلى النظم ولم يوليا اللفظ المفرد اهمية كبيرة.

ابن مالك :

واختصر بدر الدين بن مالك (ـ ٦٨٦هـ) القسم الثالث من «مفتاح العلوم» وتكلم على الفصاحة وأطلق عليها اسم البديع الذي قال عنه «هو معرفة توابع الفصاحة» وعرّف الفصاحة بانها «صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الافهام لمعناه وتبيّن المراد منه»(١). وقسمها إلى معنوية ولفظية، وذكر ما في «مفتاح العلوم» من صفاتهما، ثم قسم المعنوية إلى مختصة بالافهام والتبيين ومختصة بالتزيين والتحسين . وهذه الانواع الثلاثة هي علم البديع عند المتأخرين.

القزويني :

وحينما جاء الخطيب القزويني (ـ ٧٣٩هـ) وجد الطريق ممهداً فأخذ من علماء البلاغة المتقدمين ورتب بحث الالفاظ ترتيبا علميا خالف فيه السكاكي وبدر الدين، لانه اتخذها مقدمة البلاغة، وفي هذه المقدمة التي كانت كشفا من معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان ـ تكلم على صفات الالفاظ وما ينبغي أن تكون عليه. وكان بحثه ابتداءً باتخاذ الفصاحة مقدمة لعلوم البلاغة بعد أن كانت موضوعا تشيع فيه الحياة (٢).

بدأ القزويني مقدمته بقوله : « الناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد ـ فيما بلغني منها ـ ما يصلح لتعريفهما به ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم ، فالاولى أن تقتصر

---

(١) المصباح ص٧٥.

(٢) ينظر القزويني وشروح التلخيص ص٢٤٩-٢٨٣.